# مستويات التركيب في سورة الكهف (مثل الرجلين أنموذجاً )

**م.م. صفاء توفيق كاظم**
جامعة بغداد/ كلية التربية – ابن رشد

## المقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ,بسم الله الرحمن الرحيم, والحمد لله رب العالمين ,نحمده تعالى حمدا كثيرا ونسبحه بكرة وأصيلا ,والصلاة والسلام على نبينا الأعظم محمد بن عبد الله الذي بعثه الله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى اله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأصحابه المتبتلين إليه والسائرين على نهجه والسالكين صراطه المستقيم .

أما بعد فان من الموضوعات التي تعشقها نفسي ويعبر بها لساني وينطلق بها قلمي هي الموضوعات القرآنية والبحث فيها , ومن جملة ما كان يلفت نظري منذ مدة ليست بالقليلة سورة الكهف المباركة وما تشتمل عليه من قصص وعبر , فقد شرعت في تدريسها في واحد من الأعوام الدراسية السابقة في مادة تحليل النص القرآني لطلبة قسم اللغة العربية – كلية التربية – ابن الرشد– جامعة بغداد , وقد انجذب أليها الطلبة كثيرا وتعلقوا بها وبأساليبها وتعابيرها الفنية وصورها الرائعة حتى إننا طلبنا إلى المناهج العلمية في وزارة التعليم العالي أن تكون السورة المقررة في مادة تحليل النص القرآني وكان هذا الطلب مقترحا تقدمنا به بناءا على الكتب التي وردت ألينا من اللجان العلمية المختصة في وزارة التعليم لتحديث المناهج وقد عرضنا إضافة إلى سورة الكهف سورتي الإسراء ومريم فاختارت اللجنة العلمية المختصة سورة الكهف سورة مقررة لطلبة المرحلة الثانية من قسم اللغة العربية كمادة لتحليل النص القرآني ومما يلفت النظر في هذه السورة المباركة ورود قصة على صورة المثل في قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين) سورة الكهف أية (32) إلى آخر الآيات المباركة في هذا الشأن , إذ كنت أطمح أن أكتب بحثا في هذا المثل القرآني وما فيه من مادة لغوية مستفيضة اقتصرت على جانبي النحو والدلالة من المستويات اللغوية طلبا للاختصار وابتعادا عن الإطالة والإسهاب , وبعد استشارتي أستاذنا الفاضل الدكتور خليل بنيان

حسون في هذا الموضوع تمت الموافقة علية وقد قسمته على ثلاثة مباحث بعد تمهيد تحدثت فيه عن معنى المثل في القرآن وأهدافه وتقريبه إلى صورة الذهن وعرض قصة المثل بصورة إجمالية وهذه المباحث هي :

أولا:الأمثال في القرآن وما توقفت عندها من مطالب مهمة كنماذج لهذه الأمثلة .

ثانيا:الدراسة النحوية وما نتج عنها من نقاط فصلت القول فيها في قصة الرجلين .

ثالثا:المعنى العام الذي بحثت فيه بيان بعض المفردات من الناحية الدلالية وصور التعبير القرآني المتعددة ,فضلا عن بيان الهدف من المعنى العام .وبعد هذه المباحث ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها والله تبارك وتعالى أسأل أن يوفقنا لما فيه الصواب في القول والعمل والى خدمة كتابة العزيز والتعلم منه ,كما قال المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)في الحديث المشهور (خيركم من تعلم القرآن وعلمه ) والحمد لله رب العالمين . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ( **32**) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً (**33**) )وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً(**34**) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً (**35**) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً) (**36**) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (**37**) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (**38**) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً (**39**) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (**40**) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً (**41**) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (**42**) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً(**43**) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً (**44**)

**صدق الله العلي العظيم**

**سورة الكهف**

## التمهيد

المثل كالشبه وزناً ومعنى , والمثل هو وصف الشيء وبيان نعومته التي توضحه .

وكانت الأمثال دائرة بين الأمم خاصة عند العرب , بل كان استعمالها يعد من شؤون الفصاحة والبلاغة , وقد نهج القرآن الكريم في استعمال الأمثال لغرض تفهيم المخاطبين والتكلم معهم بلسانهم المتعارف بينهم , وجلب قلوبهم ,إلى غير ذلك من الحكم والفوائد .وقد اهتم القرآن الكريم بها اهتماما كبيرا فقال تعالى :((**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**)) سورة الزمر أيه (27) وقال تعالى : (( **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)) سورة إبراهيم أيه (25) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة . والوجه في ذلك معلوم , لأن ذكر المثل يجلي المعاني المعقولة الخفية ويؤثر في النفوس المأنوسة بالمحسوسات, والناس إلى ما أرتكز في غرائزهم أميل , والى ما يكون دائرا في ما بينهم أرغب . وعن نبينا الأعظم 6 قال : (أنا معاشر الأنبياء أمرنا إن نكلم الناس على قدر عقولهم)[1] .

## قصة المثل

ذكر المفسرون واللغويون قصصاً عديدة لهذا المثل القرآني في أنها كانا أخوين أو جارين أو ما إلى ذلك ومن أجل الابتعاد عن الإطالة وتحاشيها أكتفي بما أورده الزمخشري في الكشاف فأن ماذكره أكثر أقناعا وأجمل للبيان : ((وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ)) سورة الكهف أيه (32) أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافرا اسمه قطروس والأخر مؤمن أسمه يهوذا ,وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله ((قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)) أيه (51) ورثا من أبيهما ثمانية ألاف دينار فتشاطراها فاشتري الكافر أرضا بألف , فقال المؤمن :اللهم إن أخي اشتري أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امراءة بألف ,فقال : اللهم أني جعلت إلفا صداقا للحور العين ثم بني أخوه دارا بألف فقال: اللهم إني اشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به, ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف ,فقال :اللهم أني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ,ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه ,فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله [2] .

## المبحث الأول

## الأمثال في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا كانت مضرب المثل للناس وبأساليب مختلفة قال جل شأنه في كتابه العزيز :(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) سورة الكهف أية(54) وقال جلّ شأنه ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)) سورة العنكبوت أية (43) وقال جل شأنه ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) سورة الحشر أية (21) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المباركة وهذا الموضوع كثير الفروع والمباحث وقد ألفت فيه كتب كثيرة وأطاريح عديدة فمن هذه الكتب على سبيل المثل ,الأمثال في القرآن الكريم لناصر مكارم الشيرازي , والأمثال في القرآن الكريم لجعفر السجان وهو على ثلاثة أجزاء بحث في موضوع الأمثال بحثا مفصلا فضلا عن كتاب الصورة الفنية في المثل القرآني للدكتور محمد حسين علي الصغير وهي رسالته للماجستير إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة , وسأقف في هذا المبحث عند بعض المواطن القرآنية التي تناولت الأمثال مبتعدا عن التفصيل والإطالة وذلك بحسب ما يتسع له الوقت وما تسمح به الفرصة وإلا فأن هذا الموضوع يحتاج إلى سنوات طويلة من الدراسة والبحث ولا أقول ذلك مبالغة إذا ما علمنا بأن هناك عددا كبيرا من الأمثال المتصرفة والمتنوعة في القرآن الكريم وهذه المواطن التي سأقف عندها هي :

1- قوله تعالى في سورة النحل ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (**75**)) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (**76**) )) . وجاء في معنى الكلّ (( الثقل يقال : كلّ عن الأمر يكل كلاً إذا ثقل عليه وكلّ لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالأصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه))[3] . وجاء في معنى هذا المثل ما ذكره القرطبي في تفسيره : فالذي هو مثال في هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من أمر نفسه , وإنما هو مسخر بإرادة سيده . ولا يلزم من الآية إن العبيد

كلهم بهذه الصفة, فأن في الإثبات لا تقتضي الشمول عند أهل اللسان وإنما تفيد واحداً فإذا كانت بعد أمر أو نهي أو مضافة إلى مصدر كانت للعموم الشيوعي كقوله : اعتق رجلاً ولا تهن رجلاً والمصدر كإعتاق رقبة فأيّ رجل اعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ويصح منه الاستثناء [4]. وذكر الزمخشري في الكشاف بيان العلة من وصف العبد بالمملوك وكل مملوك ليس من امره شئٌ فأمره بيد سيده: ( لم قال: ((مملوكاً لا يقدر على شئ)) وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف ؟ قلت: أما ذكر المملوك فليميز من الحرّ , لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً لأنهما من عباد الله وأما لا يقدر على شئ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف ) [5] .

( لم قيل (( يستوون)) على الجمع ؟ قلت : معناه هل يستوي الأحرار والعبيد [6] . ثم استرسل بعد ذلك في بيان معنى الأبكم وأنه لا يستوي مع سليم الحواس وهو نافع في كل شيء في ما يؤمر به ويطلب منه فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو على صراط مستقيم وهذا مثل ثانٍ ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع)[7] .

وذكر السيد عبد الله شُبَّر قريباً من المعنى الذي أشار إليه الزمخشري بتفصيل يسير [8] .

وإذا أنعمنا النظر في هذا النص القرآني نجد الآتي :

أ- عجز العبد المملوك الذي خلقه الله حُراً عن أن يأتي بخير وان كان ذلك متاحاً فان هناك الكثير من المستعبدين الذين يرزحون تحت وطأة الظالمين ويتحكم فيهم الجبارون لا ينتهزوا نعمة الحرية ولا ينتفعوا بها كحال اليهود بعد أن نجاهم الله من فرعون وعذابه كيف أنهم تمردوا على موسى υ وخالفوا وتقاعسوا عنه , وقالوا له كما حكى القران الكريم ((فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)) (المائدة: من الآية24) .

ب- توجه المرزوق إلى الإنفاق وأعمال الخير فهذا لا يستوي مع هؤلاء الجُهّال المتقاعسين فان هذا الذي وسع الله عليه رزقه وامتلأ قلبه إيمانا , طوّع نفسه لهذه الأعمال الكريمة وفي ذلك عبرة لنا إذ إنّ مثل هذا المؤمن المنفق العامل لا يمكن أن يستوي مع من دونه من الذين لا يقدرون على شئ ولا يريدوا أنْ يقدروا على شئ . وتتضح لنا الصورة أكثر فأكثر بهذا العرض البليغ , إذ انه يتحدث عن الأبكم الذي هو ثقيل على وليه وعلى المعافى الذي لا يصدر عنه

إلا الخير فهذا لا يضرب فقط للمؤمن والكافر , وإنما من الممكن أن يضرب مثلا للعامل والخامل , والصالح والطالح وأشباه أولئك .

2- تصريف الأمثال : وردت أكثر منن آية بينت لنا تصريف المثل , وهو تداوله وتنوعه , قال تعالى في سورة الإسراء: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (**89**) )) , وقال جلّ شأنه في سورة الكهف : ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا(**54**) )) , والملاحظ في هاتين الآيتين أمران :

أولهما : التقديم والتأخير في كلا الآيتين إذ قدم الجار والمجرور المتعلق بصرفنا على الجار والمجرور (في هذا القران) وذلك في سورة الإسراء ,وأخّر الجار والمجرور (للناس) بعد الجار والمجرور ( في هذا القران).

وثانيهما : انتهاء الآية الأولى في الإسراء بقوله تعالى ((فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً)) وانتهاء الآية الثانية في الكهف بقوله تعالى (( وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا)) وقد تتبعت ما تيسر لي من المصادر في هذه المدة القصيرة بحثاً عن العلة في هذا التعبير , فلم أقف عند توجيه أو بيان لهذه العلة وذلك فيما يرتبط بالأمر الأول والذي أراه انه لما تحدث عن أكثرية الناس الكافرة وإباءهم إلا كفرا , وقد ترددت لفظة الناس مرتين في الآية اعني في الإسراء, فلذا أراد أن يلفت أنظارنا وينبهنا على هذه المسألة فقال : (ولقد صرفنا للناس في هذا القران.. الآية ), ولما تحدث في سورة الكهف عن الإنسان , وانه اكثر شئ جدلا والانسان في هذا الموضوع هو لاستغراق الجنس فارا دان يميزه بجدله تحدثت الآية عن الأمثال المتنوعة المتداولة من اجل بيان الحجة والبرهان عليه , ومع ذلك كان كثير الجدل إذ بين لنا إن هذا القران ملئُ بالأمثال التي ليست على صنف واحد وإنما هي أصناف متعددة كثيرة ومتنوعة , فلذا قدم عبارة ( في هذا القران) على عبارة (للناس) في الاية الواردة في سورة الكهف والله اعلم . وفيما يتعلق بثاني الأمرين فقد أشار جمع من المفسرين إلى معاني الآيتين على اختلاف التعبير فيهما , جاء في تفسير الميزان للطباطبائي في بيان معنى التصريف :(تصريف الأمثال ردها وتكرارها وتحويلها من بيان إلى بيان ومن أسلوب إلى أسلوب)[9] . ثم مضى الطباطبائي قائلا : (ومن في قوله ((من كل شئ)) لابتداء الغاية والمراد من كل مثل

يوضح لهم سبيل الحق ويمهد لهم طريق الأيمان والشكر بقرينة قوله ((فأبى أكثر الناس إلا كفورا)) والكلام مسوق للتوبيخ والملامة , وفي قوله (( أكثر الناس)) وضع الظاهر موضع المضمر والأصل أكثرهم , ولعل الوجه فيه الإشارة إلى إن ذلك مقتضى كونهم ناسا كما مر في قوله ((وكان الإنسان كفورا))[10] .

وجاء في تفسير القرطبي :( التصريف أي وجهنا القول فيه بكل مثل يجب به الاعتبار من الرايات والعبر والترغيب والترهيب , والأوامر والنواهي وأقاصيص الأولين والجنة والنار والقيامة)[11] . وجاء في الكشاف في معنى قوله تعالى :(( أكثر شئ جدلا)) (اكثر الاشياء التي ياتي منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحدا خصومة ومعاراة بالباطل, وانتصاب جدلا على التمييز :يعني إن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شئ ونحوه )[12] .

3- ومن المواطن القرآنية التي تلقت أنظارنا (مثل الحياة الدنيا) إذ عبر عنها ((كماءٍ أنزلناه من السماء)), قال تعالى ((وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً) (الكهف:45) , بين الحق سبحانه وتعالى حقارة الحياة وضالتها إذ انه يشبهها بماء منزل من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما مصفرا تذروه الرياح فيتطاير فلا يبقى منه شئ يذكر وذو قيمة وهذا هو شان الحياة الدنيا . جاء في بيان معنى الهشيم والذر في مجمع البيان للطبرسي قال :(( الهشيم :ما يكسر ويحطم من يبس النبات , والذر والتذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرته واذرته اذريت الرجل عن الدابة)[13] .

وذكر في معناها العام ((واضرب لهم مثلا)) ( ثم أمر سبحانه نبيه 6 أن يضرب المثل للدنيا تزهيدا فيها وترغيبا في الآخرة فقال(( وَاضرب)) يا محمد (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ)) أي نبت بذلك الماء نبات التفّ بعضه ببعض يروق حسنا وغضاضة وهذا مفسر في سورة يونس υ ,((فأصبح هشيما)) أي كسيرا مفتتا , ((تذروه الرياح)) فتنقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات , ((وكان الله على كل شئ مقتدرا)) أي قادرا لا يجوز عليه المنع) [14]. وذكر الطباطبائي في الميزان المعنى نفسه مع تفصيل قليل [15] . وذكر الزمخشري في الكشاف ((فاختلط به نبات الارض)) : (فالتفّ

بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا , وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورفّ رفيفاً وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته إن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه) [16] .

4- ومن المواطن القرآنية المهمة التي ضربت لمن يحمل كنزا ثمينا ولا يعرف قيمته قال تعالى فس سورة الجمعة : آية (5) ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) ذكر بعض المفسرين في معنى الآية إن ((مثل الذين حملوا التوراة)) كلفوا العمل بها وهم اليهود , (( ثم لم يحملوها )) لم يعملوا بها (( كمثل الحمار يحمل أسفارا)) كتبا لا ينال منها إلا التعب , ((بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله )) الشاهدة بنبوة محمد 6 .

((والله لا يهدي القوم الظالمين)) إلى الجنة ولا يلطف بهم لظلمهم [17] . وهكذا دواليك بالنسبة للأمثلة الأخرى و هي كثيرة في مواضع متعددة كالمثل على من ينقض العهود والمواثيق والأيمان , والمثل على المنافقين الذين ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون , ومثل الكلمة الطيبة التي ضربها الله مثلا وشبهها كالشجرة الطيبة , والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة قال جل شانه ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (**24**) )تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (**25**) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (**26**) ))(سورة إبراهيم اية 24–26) , ومن أروع ما جاء في ذلك قوله تعالى في سورة الحج ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً)) الحج: من الآية 73, إذ بين عجز البشر عن خلق اضئل المخلوقات . وأنا في هذا الصدد خطر في ذهني سؤال سأله المنصور الدوانيقي للإمام الصادق υ قائلا : لمَ خلق الله الذباب ؟ فأجابه الإمام υ قائلا : ليذل به الجبابرة .

واكتفي بهذا القدر من المواطن التي وقفت عندها فإنها تحتاج إلى بحوث طويلة لا يسعها هذا البحث المقتصر .

## المبحث الثاني

## الدراسة النحوية

لقد استوقفتني في هذه القصة ألقرانيه عدة من القضايا النحوية المهمة التي تركت أثرها في المعنى ,والتي كانت موضع خلاف ما بين النحويين وكذلك كانت ذا أوجه متعددة , وسنستعرضها في هذا المبحث إن شاء الله بحسب ورودها في سياق القصة.

1- كلا وكلتا في قوله تعالى((كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا)) سورة الكهف , اية33, ذكر الزجاج (ت 311 هـ)انه قال ((آتت))ولم يقل (آتتا)لأنه عائد على كلتا والمعنى كل واحدة منهما آتت أكلها , ولو كان (اتتا) لكان جائزا, يكون المعنى الجنتان كلتاهما اتتا اكلهما [18].

وعندي أنّ الزجاج لو أشار إلى المعنى بما عنده من الدليل لكان خيراً له من هذا التكلف , فكيف يقول : ولو قال (آتتا) لجاز وكأنه يتحدث عن كلام شخص من الناس , فلو قال هذا جائز في كلام العرب لكان أفضل , لان مثل هذا القول يخل ببلاغة القران وإعجازه . وذكر النحاس (ت 338 هـ) قريبا من هذا المعنى الا انه أضاف قائلا :( وأجاز النحويون في غير القران الحمل على المعنى , وان تقول كلتا الجنتين آتتا أكلهما , لان المعنى الجنتان كلتاهما آتتا أكلهما)[19] . ونقل النحاس عن الفراء انه أجاز كلتا الجنتين آتى أكله قال : لأن المعنى أُكُلَ الجنتين , أو كُلُّ الجنتين [20] . وتابعهما الطبرسي في المجمع على ذلك مضيفا انه سماه أكلا لأنه مأكول [21] .

وذكر ابن هشام في المغني ما هو أوضح من ذلك كله ان كلتا لفظ مفرد مثنى معنى مضاف ابداً لفظاً ومعنىً الى كلمة واحدة معرفة دالة على اثنين , أما بالحقيقة والتنصيص نحو ((كلتا الجنتين آتت اكلها)) [22] . وعندي إن التعبير بـ (ءاتت) وان كان من غير القران , اذا كان مردودا على كلتا فانه يريد ان يشير الى ما موجود في الجنتين من نعيم وخير كثير بشكل مستقل عن الآخر , أي إن كل منهما تلفت النظر بما اتته من اكلٍ دانٍ بحيث لا يكون فيها نقص البتة ,أما ترى انه قال بعد ذلك (( ولم تظلم منه شيئا)) سورة الكهف , اية (33) أي لم ينقص شئ من أكلها فكأنه يريد أن يفرق بين أكلي الجنتين زيادة في إظهار النعمة وكثرة الخير والله اعلم .

2- القول في ( لَكنَّ) وقد فصل النحويون القول في (لَكنَّ) من حيث المعنى , ومن حيث القراءة في هذه الاية وهي قوله تعالى ((لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي)) الكهف: من الآية(38) اما القول في

معنى لكنّ فقد ذكروا لها ثلاث معان مفصلة ذكرها ابن هشام في المغني وهي على النحو الاتي :

أ- وهو المشهور : انه واحد , وهو الاستدراك , وفسر بان تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها , ولذلك لا بد ان يتقدمها كلام مناقض لما بعدها نحو (ما هذا ساكنا لكنه متحرك) أو ضد له نحو (ما هذا ابيض لكنه اسود) قيل أو خلاف نحو ( ما زيد قائماً , لكنه شارب) وقيل لايجوز ذلك .

ب- إنها ترد تارة للاستدراك وتارة للتوكيد , قاله جماعة منهم صاحب البسيط , وفسروا الاستدراك برفع ما يتوهم ثبوته نحو ( ما زيد شجاعاً , ولكنه كريم ) لان الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان , فنفي احدهما يوهم انتفاء الآخر , و ( ما قام زيد , لكن عمراً قام ) وذلك اذا كان بين الرجلين تلابس او تماثل في الطريقة ومثلوا للتوكيد بنحو _لو جاءني أكرمته لكنه لم يجيء) فأكدت ما أفادته لو من الامتناع .

ت- إنها للتوكيد دائما مثل انَّ , ويصحب التوكيد معنى الاستدراك , وهو قول ابن عصفور , قال في المقرب :إنَّ و أنَّ و لكنَّ , ومعناها التوكيد , ولم يزد على ذلك , وقال في الشرح : معنى لكن التوكيد وتعطي مع ذلك الاستدراك. والبصريون على إنها بسيطة, وقال الفراء: أصلها لَكِنْ أنَّ فطرحت الهمزة للتخفيف , ونون لكن للساكنين . وقال باقي الكوفيين : مركبة من : لا و إنَّ , والكاف الزائدة لا الشبيهية , وحذفت الهمزة تخفيفاً [23] . وأما القول في أصلها وتركيبها فقد فصّل الزّجّاج في ذلك ونقل الباقون عنه وهي على خمسة أوجه :

أ- لَكِنَّ هو الله ربي – بتشديد النون وفتحها – ويوقف عليها بالألف ويوصل بغير ألف.

ب- ويقرأ : لكنا هو الله ربي بالألف موصولة .

ت- ويقرأ : لكِنْ هو الله ربي بسكون النون .

ث- ويجوز ولا اعلم أحدا قرأ به – لكنَنَ هو الله ربي – بنونين مفتوحتين .

ج- ويجوز – لكنَنَا هو الله ربي – بنونين وألف [24] .

ثم اتبع الزجاج قائلاً : فمن قرأ بالتشديد والنون فالمعنى لكن انا هو الله ربي فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح , و اجتمع حرفان من جنس واحد , فأدغمت النون الأولى في الثانية

وحذفت الألف في الوصل لأنها تثبت في الوقف وتحذف في الوصل , ومن قرأ : لكنا فأثبت الألف في الوصل كما كان تثبيتها في الوقف فهذا على لغة من قال : أنا قمت [25].

وعندي إن الراجح في (لَّكِنَّاْ) أصلها ( لكن أنا ) إذ إن المؤمن بين لصاحبه الكافر هذه الحقيقة اذا كنت كافرا او مشركا فانا لست كذلك , فهو يتحدث عن ايمانه ولا يتحدث عن نفسه وعن صاحبهمعاً فارا دان يثبت الايمان لنفسه ونفيه عن صاحبه لان اظهر الكفر لذا قال له منكرا عليه ((أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً))(الكهف: من الآية37)

3- ضمير الشأن : ومما استوقفني في هذا المثل القرآني ضمير الشأن أو القصة , أو كما عبر عنه بالضمير المفسر ( هو ) في قوله تعالى ((لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً)) سورة الكهف أية (38) فلما لم يقل لكن الله ربي , وإنما جاء بضمير الفصل (هو ) وهذا وارد في أكثر من موضع قراني وله دلالته القطعية في ذلك وقد أطلق عليه الكوفيون اسم المجهول , وقد رجح ابن الحاجب ت (646هـ) تسمية البصريون له بالشأن أو القصة معبرا عنها بالأقرب[26] . ثم فصل القول في سبب التسمية وترجيحه مذهب البصريين قائلا : وتسمية البصريين اقرب لأنهم سموه باعتبار معناه , لان معناه الشأن والقصة , والكوفيون لا يخالفون في ان معناه ذلك , وإنما سموه باسم آخر ملازم , وهو كونه عائدا على غير المذكور أولا , ولكن على ما يفسره ثانيا فتسميته بسم معناه أولى , ولا يخالف البصريون في انه مجهول ولا يخالف الكوفيون في انه يفسر بالجملة وإنما وقع أولاً , لأنه لو وقع آخراً عاد على ما تقدم ولم يحتج إلى تفسير , لا شرطه أن يفسر بالجملة , وإنما وضعوه ليعظموا القصة المذكورة بعده , لان الشئ إذا ذكر مبهما ثم فسر كان أوقع في النفس من وقوعه مفسرا أولا , وإنما لم يأتوا بالشأن الذي هو المظهر موضع المضمر , لان المضمر أبهم من المظهر ويكون متصلا ومنفصلا , فالمنفصل يجب أن يكون مرفوعا بالابتداء غالبا [27] .

وتابع ابن هشام الأنصاري في المغني لبن الحاجب في تسمية هذا الضمير عند البصريين والكوفيين والإشارة إلى معناه مضيفا إلى ما تقدم قائلا : وهذا الضمير مخالف للقياس من خمسة أوجه :

أ- عَوْدُه على ما بعده لزوما , إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم هي ولا شئ منها عليه .

ب- إن مفسره لا يكون إلا جملة , ولا يشاركه في هذا ضمير , وأجاز الكوفيون والأخفش تفسيره بمفرد له مرفوع .

ت- انه لا يتبع بتابع , فلا يؤكد , ولا يعطف عليه , ولا يبدل منه .

ث- انه لا يعمل فيه إلا الابتداء , أو احد نواسخه .

ج- انه ملازم للإفراد , فلا يثنى ولا يجمع , وان فسر بحديثين أو أحاديث [28] .

وذكر القرطبي في الجامع لأحكام القران قريبا من هذا المعنى [29] .

4- لولا : في قوله تعالى ((وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ)) سورة الكهف , آية (39) , وذكروا لـ(لولا) أربعة أوجه:

أ- أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى نحو (لولا زيدٌ لأكرمتك) أي لو زيد موجود , فأما قوله 6 ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)) فالتقدير : لولا مخافة أن اشق على أمتي لأمرتهم أي أمْرَ إيجاب , وإلا لانعكس معناها , إذ الممتنع المشقة , والموجود الأمر.

ب- أن تكون للتحضيض والعرض فتختص بالمضارع أو ما في تأويله نحو (( لولا تستغفرون الله)) ونحو (( لولا أخرتني إلى اجل قريب)) والفرق بينهما إن التحضيض طلب بحثٍّ وإزعاج , والعرض طلب بلين وتأدب.

ت- أن تكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي نحو ((لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ))

ث- الاستفهام , نحو ((**لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ** )) و((**لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**))[30] .

تحدث ابن الناظم في شرحه على الفية والده عن (لولا و لوما) وما يتعلق بهما من اوجه وتابعه الصبان في حاشيته على شرح الاشموني في هذه المسألة [31] . والملاحظ على هذه الاوجه الاربعه انها لم تستوعب كلما دخلت عليه لولا وإذا رأوا وجها آخر أولوه بواحد من الأوجه المذكورة آنفاً كما فعل في تقدير (مخافة) في حديث النبي (صلى الله عليه واله ) الذي مر بنا في الوجه الأول من هذه الأوجه والذي أريد قوله هنا لما لم يقولوا ان (لولا) تدخل على (إذ) الظرفية , وإلا يعد ذلك وجها خامسا وهل تحتاج الى التقدير وإذا كنا احتجنا إلى التقدير فماذا نقدر ؟ حتى ينسجم مع احد

الأوجه المذكورة فعليه لا مانع من ان يكون هناك وجه خامس لـ(لولا) إنها تدخل على (اذ) الظرفية كما تدخل على (ان) الناصبة ولا نحتاج إلى تقدير في مثل هاتين الحالتين , فالكلام بليغ ومستوف والتقدير لا يزيده الا ركاكة وضعفا .

5- القول في جواب( لولا ) : وهو قوله تعالى(( قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)) سورة الكهف: من الآية39) وذكروا لـ ( ما شاء الله) وجوها بعضها مقبول بحسب المعنى المستدل عليها وبعضها فيه واضح كما سيأتي : (ما) في موضع رفع , المعنى قلت : الأمر ما شاء الله . ويجوز أن تكون (ما) في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء , ويكون الجواب مضمراً , ويكون التأويل أيّ شئٍ شاء الله كان , ويضمر الجواب كما أُضمر جواب في لو في قوله تعالى ((وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ)) سورة الرعد ,آية (31) المعنى لكان هذا القران [32] . وذكر النحاس قريبا من هذا المعنى [33] . وتابعهما مكي بن أبي طالب القيسي في مشكل إعراب القران على ذلك أيضا مع تفصيل يسير في الإعراب[34] . والراجح عندي ما ذكره صاحب الميزان وهو على تقدير الأمر ما شاء الله فهو الأصح عنده ؛ لأنه الأوفق إلى السياق ؛ لان الغرض بيان رجوع الأمور الى مشيئة الله تعالى قبال من يدعي الاستقلال والاستغناء [35] . وذكروا في إعراب (قوة) في قوله تعالى ((لا قوة إلا بالله )سورة الكهف , آية (39) الأوجه الثلاثة المعروفة وهي البناء على الفتح أو الرفع أو النصب [36] .

6- القول في ضمير الفصل ( أنا) في قوله تعالى (( إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً))سورة الكهف: من الآية39) ذكر الزجاج في معاني القران وإعرابه : (انا ) يصلح لشيئين إن شئت كان توكيدا للنون والياء , وان شئت كانت فصلاً [37]

ذكر مكي بن أبي طالب القيسي في مشكل إعراب القران ((أنا)) فاصلة لا موضع لها من الإعراب , (( أقلَّ)) مفعول ثانٍ لترني وان شئت جعلت (إنا) تأكيدا لضمير المتكلم في ترني . ويجوز في الكلام رفع أقل , تجعل (انا) مبتدأ و (اقل) الخبر , والجملة في موضع المفعول الثاني لترني [38] .

وذكر غيرهم قريبا من هذا المعنى من حيث الإعراب والمعنى والقراءة . والذي أراه إن هذا الضمير الفاصل بين المفعولين ( الياء) في (ترني) و ( اقل) , أو قد يكون احد المفعولين فيه تخصيص لان الغني الكافر لم يستخف بأحد ويتغطرس عليه ويتكبر بحسب النص القرآني الا

على الفقير فقال له : (( أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا )) سورة الكهف , اية (34) ,لذا قابله بالقول محدد ما كان يصبو اليه هذا الغني من تحقيره والاستخفاف به قائلا له ((ان تَرَنِ أَنَاْ)) أي على وجه التخصيص , إذ إن الغني واجه الفقير بكلام جارح أعقبه بعد ذلك اعتقاد فاسد وغطرسة فارغة حينما دخل جنته وهو ظالم لنفسه , وعلى كل حال فان اللغويين والمفسرين ذكروا موقع هذا الضمير من الإعراب دون أن يشيروا إلى دلالته أو صورته البلاغية وقد ذكرت من معناه ما تبين لي والله اعلم.

## المبحث الثالث

بعد أن تعرضت في المبحثين السابقين إلى المثال في القران الكريم والى أهم ما ورد من ظواهر نحوية في المبحث الثاني خصصت هذا المبحث للمعنى العام لهذه القصة , وذلك بعد بيان أهم المفردات من الناحية الدلالية , وإنما قلت أهم المفردات ؛ لأنني لا أريد أن أقف عند كل لفظة في هذه القصة بتفصيل , وإنما أقف عند المفردات التي أرى من المناسب أن أتناول بيان معناها من اجل الوصول إلى المعنى العام لهذه القصة وهذه المفردات :

أولا : (( حففناهما بنخلٍ )) سورة الكهف , آية (32) أي جعلنا النخل مُطيفاً بهما , يقال قد حف القوم بزيد إذا كانوا مطيفين به [39] .

ثانيا : (( حُسبانا )) : الحسبان في اللغة هو الحساب قال تعالى (( الشمس والقمر بحسبان)) سورة الرحمن , اية (5) المعنى بحساب , فالمعنى في هذه الاية ان يرسل عليها عذاب حُسبان, وذلك الحسبان هو حساب ما كسبت يداك [40] .

ثالثا : ((صَعيدا)) : الطريق الذي لا نبات فيه [41] .

رابعا : (( زَلقاً)) : الزلق والزلل متقاربان قال ((صعيداً زلقاً)) أي دحضاً لا نبات فيه نحو قوله (( فتركه صلدا)) , والمزلق المكان الدحض قال ((ليزلفونك بأبصارهم)) سورة القلم ,أية (51) ويقال زلقه وازلقه فزلق , قال يونس : لم يسمع الزلق والازلاق الا في القران [42] .

خامسا : ((غوراً)) معناه غائرا يقال ماء غَورٌ , ومياه غورٌ , وغورٌ مصدر مثل : عَدْل , ورضىً [43] .

سادسا : ((عُقباً)) : والعقب والعقبى يختصان بالثواب نحو (( خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً )) وقال تعالى ((أولئك لهم عقبى الدار)) والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب نحو ((والعاقبة للمتقين))[44].

المعنى العام للآيات : الآيات تتضمن مثلين يبينان حقيقة ما يملكه الإنسان في حياته الدنيا من الأموال والأولاد وهي زخارف و زيناتها الغارة السريعة الزوال والفناء التي تتزين بها للإنسان فتلهيه عن ذكر ربه وتجذب وهمه إلى أن يخلد إليها ويعتمد عليها فيخيل اليه انه يملكها ويقدر عليها , حتى اذا طاف عليها طائف من الله سبحانه فنت وبادت ولم يبقى للإنسان منها إلا كحلمة نائم وأمنية كاذبة [45] . قوله تعالى (( وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً )) سورة الكهف , آية (33) الظلم النقص , والضمير للأكل , أي ولم تنقص من أكله شيئاً بل اثمرت ما في وسعها من ذلك [46] .

قوله تعالى ((إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً)) سورة الكهف ,آية (39) حيث بدل النفر من الولد, والمعنى فقال الذي جعلنا له الجنتين لصاحبه والحال انه يحاوره : ((انا اكثر منك مالا واعز نفرا)) أي ولدا وخدما [47] .

ويبدو ان صاحب الميزان يرى ان الفرق الدلالي بين التعبيرين ( نفرا) في الآية الأولى, و(ولدا) في الاية الثانية , إن (النفر) يشتمل على الأولاد والخدم مما يشكل أكثر قوة وهو وجه جيد ولكنه لم يقف عنده بشيءٍ من التوضيح أكثر مما ذكر . ووصف الرجل الثري نفسه لصاحبه (( انا اكثر منك مالا واعز نفرا)) فلم يرى إلا نفسه ونسي ان ربه هو الذي سلطه على ما عنده من المال , وأعزه بمن عنده من النفر فجرى قوله لصاحبه (( انا اكثر منك مالا واعز نفرا)) مجرى قول قارون لمن نصحه ان لا يفرح ويحسن بما آتاه الله من المال: ((إنما اوتيته على علم))[48] .

قوله تعالى ((وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)) سورة الكهف: من الآية(35) إلى آخر الآيتين الضمائر الأربعة راجعة إلى الرجل , والمراد بالجنة جنسها ولذا لم تثن وقيل لان الدخول لا يتحقق في الجنتين معا في وقت واحد وإنما يكون في الواحدة بعد الواحدة [49] .

ثم استرسل صاحب الميزان يبحث في حالة الكافر الظالم لنفسه حينما دخل جنته ولا يلتفت إلى آخرته بتفصيل طويل [50] . إلى أن بلغ به القول أي هذا الظالم قال (( ما اضن ان تبيد هذه ابدا)) سورة الكهف , آية (35) ولم يقل : هذه لاتبيد ابدا .

(( لئن رددت )) آية (36) وقد خدعت هذا القائل نفسه فيما ادعت من الكرامة حتى اقسم على ما قال كما يدل عليه لام القسم في قوله ((لئن رددت)) ولام التوكيد ونونها في قوله تعالى ((لأجدن))

وقال : (( رددت )) ولم يقل :ردني ربي إليه , وقال (( لأجدن)) ولم يقل آتاني الله , والآيتان كقوله تعالى ((وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى)) سورة فصلت: من الآية50) [51] .

قوله تعالى :(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوك رجلا) سورة الكهف أية : (37) الآية وما بعدها إلى تمام أربع آيات رد من صاحب الرجل يرد به قوله : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) ثم قوله إذ دخل جنته (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) وقد حلل الكلام من حيث غرض المتكلم إلى جهتين :

أحدهما: استعلاؤه على الله بدعوى استقلاله في نفسه وفيما يملكه من مال ونفر واستثناؤه بما عنده من القدرة والقوة .

والثانية :استعلاؤه على صاحبه واستهانته به بالقلة والذلة ثم رد كلا من الدعويين بما يحسم مادتها ويقطعها من أصلها فقوله : (أكفرت بالذي خلقك – إلى قوله إلا بالله , رد لأولى الدعويين , وقوله (أن ترن إنا أقل – إلى قوله طلبا ) رد الثانية فقوله : (قال له صاحبه وهو يحاوره ) في أعادة جملة (وهو يحاوره ) أشارة إلى انه لم ينقلب عما كان عليه من سكينة الإيمان ووقاره باستماع ما استمعه من الرجل بل جرى على محاورته حافظاً آدابه ومن أدبه أرفاقه به في الكلام , وعدم خشونته بذكر ما يعد دعاء عليه يسوؤه عادة فلم يذكر جنته ,بل اكتفى فيه بما يرمز إليه ما ذكره في جنته من أمكان صيرورتها صعيدا زلقا وغور ماءها .

وقوله (أكفرت بالذي خلقك ) الخ الاستفهام للإنكار ينكر عليه ما أشتمل عليه كلامه من الشرك بالله سبحانه بدعوى الاستقلال لنفسه وللأسباب والمسببات كما تقدمت الإشارة إليه . وقال الزمخشري في الكشاف جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه لشكه البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا [52].

وقد رد صاحب الميزان على هذا القول قائلا :غير سديد كيف ؟ وهو يذكر في استدراكه نفي الشرك عن نفسه ولو كان كما قال لذكر فيه الإيمان بالمعاد ,فان قلت : الآيات صريحة في شرك الرجل ,والمشركون ينكرون المعاد قلت : لم يكن الرجل من المشركين بمعنى عبده الأصنام

وقد اعترف في إثناء كلامه بما لا تجيزه أصول الوثنية فقد عبر عنه سبحانه بقول(ربي) ولا يراه الوثنيون ربا للإنسان ولا ألها معبودا وإنما هو عندهم رب الأرباب واله الالهه [53] .

ومن جميل ما ذكره الزمخشري في بيان قوله تعالى : (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم ,فان السنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه [54] .

وفي قوله تعالى : (لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا )سورة الكهف ,إيه : (38) وقد كرر في الآية لفظ (ربي) والثاني من وضع الظاهر موضع المضمر وحق السياق (ولا أشرك به أحدا)وذلك للإشارة إلى علة الحكم بتعليقه بالوصف كأنه قال :ولا أشرك به أحدا ,لأنه ربي ولا يجوز الإشراك به لربوبيته وهذا سيان حال من المؤمن قبال ما ادعاه الكافر لنفسه والمعنى ظاهر [55]

قوله تعالى : (وأحيط بثمره) أية (42) وفجأة ينقلنا السياق من مشهد البهجة والازدهار إلى مشهد الخراب والدمار أي هلكت جنته بالكلية ,واستولى عليها الخراب في الزروع والثمار [56]

قوله تعالى : (فأصبح يقلب كفيه ) كناية عند الندامة فان النادم كثيرا ما يقلب كفيه ظهرا البطن [57]

قوله تعالى ((وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا)) آية (42) أي مهشمة محطمة قد سقطت السقوف على الجدران فأصبحت خرابا يبابا [58] . ثم أجمل صاحب الميزان في انقلاب الحال وتغيرها على الكافر المشرك قائلا : وكما كانت الآيات الخمس الأولى اعني قوله ((قال له صاحبه – الى قوله – طلبا )) بيانا قوليا لخطأ الرجل في كفره وشركه كذلك هاتان الآيتان اعني قوله ((وأحيط بثمره – إلى قوله – وما كان منتصرا )) بيان فعلي له اما تعلقه بدوام الدنيا واستمرار زينتها في قوله (( ما اضن ان تبيد هذه ابدا )) فقد جلى له الخطأ فيه حين أحيط بثمره فأصبحت جنته خاوية على عروشها , وأما سكونه الى الأسباب وركونه اليها وقد قال لصاحبه ((انا أكثر منك مالا واعز نفرا)) فبين خطؤه فيه بقوله تعالى (( ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله )) وأما دعوى استقلاله بنفسه وتبجحه بها فقد أشير إلى جهة بطلانها بقوله تعالى (( وما كان منتصرا)) [59] .

ذكر المفسرون إن الإشارة بقوله ((هنالك)) إلى معنى قوله (( أحيط بثمره)) أي في ذلك الموضع او في ذلك الوقت وهو موضع الإهلاك ووقته الولاية لله , وان الولاية بمعنى النصرة أي ان الله سبحانه هو الناصر للانسان حين يحيط به البلاء وينقطع عن كافة الأسباب لا ناصر غيره (60) .

وقد رد الطباطبائي في الميزان على هذا القول قائلا : وهذا معنى حق في نفسه لكنه لا يناسب الغرض المسوق له الآيات وهو بيان إن الأمر كله لله سبحانه وهو الخالق لكل شئ المدبر لكل أمر , وليس لغيره إلا سراب الوهم وتزيين الحياة لغرض الابتلاء و الامتحان , ولو كان كما ذكروه لكان الأنسب توصيفه تعالى في قوله : (لله الحق)) بالقوة والعزة والقدرة والغلبة ونحوها لا بمثل الحق الذي يقابل الباطل , وأيضا لم يكن لقوله (( هو خير ثواب وخير عقبا)) وجه ظاهر وموقع جميل (61) .

واكتفي بهذا القدر من المعنى العام لبلوغ الفائدة ووضوح المقصد , وقد يأخذنا التفصيل في البحث بعيدا عن الهدف المطلوب والله تبارك وتعالى اسأل أن أكون من النافعين والمنتفعين لما قدمت من عرض وتحليل للمعنى العام لهذا المثل القرآني البليغ .

## الخاتمة

إن من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

أولا: أن هذا المثل ليس من قبيل الأمثال التي تضرب لمجرد تقريب المعنى المطلوب , وإنما هي قصة واقعية قد حدثت فعلا وقد ذكرها عدد من المفسرين واللغويين وبيان ذلك في التمهيد.

ثانيا: تعدد الأمثلة وتنوعها وتصريفها بحيث أنها على أشكال متعددة تنشط ذهن السامع وترغبه في الإنصات والانتباه , إذ لا تقتصر على شكل واحد ممل لا يحب السامع أو الملتقى أن يستمع أليه وهذا التنوع والتصريف من أساليب القرآن الكريم المعروفة ومن صوره البلاغية الجميلة ليس في مجال القصص والأمثال حسب وإنما في الميادين الأخرى المتعلقة بالأحكام الشرعية والمعارف الربوبية والمناهج الأخلاقية والموارد الاقتصادية ونحو ذلك .

ثالثا: إن ما ورد من مسائل وظواهر نحوية في هذا المثل في ما يتعلق بالضمائر والأسماء المنصوبة ولو لا ولكن ,ونحو ذلك على الرغم من ما قدمه اللغويون وتابعهم المفسرون كما مر

بنا في المبحث الثاني , ولكن تبقى هناك كثير من التأملات والأسئلة التي تطرح نفسها وهي بها حاجة الى أجوبة مستمرة ودائمة , وبيانات أكثر أقناعا من قبيل ضمير الفصل الواقع بعد مبتدأين في قوله تعالى : (أن ترن أنا أقل) سورة الكهف , آية (39) وكذا اختلاف التعبير في قول تعالى : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) سورة الكهف , أية (34) , وفي قوله تعالى : (أقل منك مالا وولدا) سورة الكهف , أية (39) , وكذا اختلاف التعبير في قوله تعالى : (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) سورة الكهف , آية (43) وما إلى ذلك من مسائل مرتبطة ببيان علة التعبير أو تعدد الأوجه النحوية وتأثيرها في دلالة القصة ومعناها العام , وعلى الرغم مما بينته الأ أنني أشعر بأن هذه المسائل لن تشبع بحثا , بحيث توصلنا الى درجة من القناعة والافحام ولعل الله سبحانه وتعالى يوفقني في قابل الايام الى ان أصل الى نتائج أكثر منفعة وأقناعا أو أن يصل من يكون هذا البحث المتواضع بين يديه الى ما أصبو أليه .

رابعا: ارتباط هذه القصة بما سبقها من الايات واضح جدا لمن قرأ السورة أي سورة الكهف بتدبر وإمعان من حيث قدرة الله سبحانه وتعالى وقوته ومن حيث الآيات العجيبة الواردة كما في نوم أصحاب الكهف الذي هو عبارة عن أمر يسير على الله سبحانه وتعالى قال جل شأنه : ((أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من أياتنا عجبا )) سورة الكهف, أية (9) أي أن هذا الأمر الذي ترونه عجيبا عندكم ليس بعجيب عند الله سبحانه وتعالى وقد أشار الطباطبائي الى صلة هذا المثل القرآني بما تقدمه من الآيات [62] .

وختاما أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا الى العلم بالقرآن والعمل به مقتدين بالنبي وآله الاطهار عليهم الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .

## الهوامش :

(1) مواهب الرحمن في تفسير القران , ج1 , ص 138

(2) الكشاف, م2 , ص483

(3) مجمع البيان في تفسير القران , م3 , ص374 .

(4) الجامع لأحكام القران , ج10 ,ص96 .

(5) الكشاف ,م2 ,ص420 .

(6) المصدر نفسه .

(7) المصدر نفسه , م2 , ص421 .

(8) ينظر: تفسير القران الكريم , ص 275

(9) الميزان في تفسير القران , م13 , ص202

(10) المصدر نفسه.

(11) الجامع لأحكام القران , ج10 , ص212 .

(12) الكشاف , م2, ص489 .

(13) مجمع البيان , م3 , ص473 .

(14) المصدر نفسه , م3 , ص473.

(15) ينظر: الميزان في تفسير القران , م13 , ص318 .

(16) الكشاف , م2 , ص486 .

(17) ينظر تفسير القران الكريم , ص 553 .

(18) معاني القران وإعرابه , ج3 , ص284– 285.

(19) ينظر إعراب القران , ج2 ,ص455 .

(20) المصدر نفسه.

(21) ينظر مجمع البيان في تفسير القران ,م3 ,ص468 .

(22)

(23) مغني اللبيب ,ج1 , ص291.

(24) ينظر معاني القران وإعرابه , ج3 ,ص286.

(25) معاني القران وإعرابه , ج3 , ص286.

(26) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل , ج1 , ص471.

(27) المصدر نفسه .

(28) مغني اللبيب ,ج2 , ص 490 .

(29) ينظر الجامع لأحكام القران ,ج10 , ص263.

(30) مغني اللبيب , ج1 , ص272.

(31) ينظر شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم , ص717 , وينظر حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك , ج4, ص50 .

(32) معاني القران وإعرابه , ج3, ص288.

(33) ينظر إعراب القران , ج2 ,ص475 .

(34) ينظر مشكل إعراب القران ,ج1 , ص441 .

(35) ينظر الميزان في تفسير القران , م13 , ص314 .

(36) ينظر معاني القران وإعرابه ,ج3 , ص288 .

(37) المصدر نفسه .

(38) مشكل إعراب القران , ج 1 , ص144–145.

(39) معاني القران وإعرابه , ج3 ,ص284

(40) المصدر نفسه , ج3 , ص290 .

(41) المصدر نفسه .

(42) مفردات غريب القران , ج1 , ص215.

(43) معاني القران وإعرابه , ج3 , ص290

(44) مفردات غريب القران , ج1 , ص340 .

(45) الميزان في تفسير القران , م 13 , ص 308 .

(46) المصدر نفسه .

(47) المصدر نفسه ، م13، ص209.

(48) المصدر نفسه ، م13، ص309.

(49) المصدر نفسه , م 13 ,ص 309.

(50) ينظر: الميزان في تفسير القران, م13 , ص311

(51) المصدر نفسه ,ص312

(52) ينظر الكشاف ,م2,ص485.

(53) الميزان في تفسير القران , م 13 , ص 313 .

(54) ينظر الكشاف , م2 ,ص485 .

(55) الميزان في تفسير القران , م 13 , ص 314.

(56) صفوة التفاسير ,ج2 ,ص193.

(57) الميزان في تفسير القران , م 13 , ص 316

(58) صفوة التفاسير , ج2 , ص193 .

(59) الميزان في تفسير القران , م13 , ص316 .

(60) ينظر في مجمع البيان , م3 , ص470 .

(61) الميزان في تفسير القران , م13 , ص317 .

(62) ينظر التمهيد ,ص4 .

## قائمة المصادر والمراجع

**(1).القرآن الكريم**

(2).أعراب القرآن :لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ت338هـ ,تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ,عالم الكتب , مكتبة النهضة العربية , الطبعة الثانية 1405هـ-1985م

(3).الإيضاح في شرح المفصل :للشيخ أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي 570 هـ -646هـ , تحقيق وتقديم الدكتور موسى بناي العليلي , مطبعة العاني – بغداد .

(4).تفسير القرآن الكريم : للسيد عبد الله شبر ,ألطبعه الأولى 1432هـ -2011م , لبنان – بيروت

(5).حاشية الصبان على شرح الاشموني على آلفية ابن مالك , العلامة محمد بن علي الصبان, العلامة محمد بن علي الصبان , الناشر : انتشارات زاهدي قم – ايران , 1377 – 1419 .

(6). الجامع لأحكام القرآن : الإمام أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي , دار الكتب العلميه , الطبعة الأولى 1408هـ – 1988م

(7).شرح الفية ابن مالك لابن الناظم : تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد, دار الجيل – بيروت.

(8).صفوة التفاسير : تاليف محمد علي الصابوني , الطبعة الاولى 1414هـ -1994م ,دار القلم العربي – حلب, دار النمير – دمشق .

(9).الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي , الناشر دار ألمعرفه للطباعة والنشر , بيروت – لبنان.

(10).مجمع البيان في تفسير القرآن: تأليف الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي , دار أحياء التراث العربي , بيروت – لبنان , تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي .

(11).مشكل أعراب القرآن : تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت 437هـ , دراسة وتحقيق حاتم صالح الضامن , منشورات وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية .

(12).معاني القرآن وأعرابه: للزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري ت 311 شرح وتحقيق : دكتور عبد الجليل عبده شلبي , الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م , دار عالم الكتب .

(13).مغني اللبيب عن كتب الاعاريب :تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن عبد الله بن هشام , الأنصاري , المصري , ت 761هـ , حققه وضبط غرائبه محمد محي الدين عبد الحميد , مطبعة المدني .

(14).مفردات غريب القرآن : تأليف أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني , مصدر الكتاب موقع يعسوب موافق للمطبوع .

(15).مواهب الرحمن في تفسير القرآن : تأليف السيد عبد الأعلى الموسوي البز واري , الطبعة الثانية 1428هـ – 2007م .

(16).الميزان في تفسير القرآن :للعلامة السيد محمد الطباطبائي , منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 1392هـ –1972م .